Literary Experience is a Creative Factor in The Text

Ahmed Ghaleb Nayef Al-Sadoon
Department of Arabic, College of Education, University of Al Maarif, Ramadi, Iraq
dr.ah1975@uoa.edu.iq

KEYWORDS: **Literary, Experience, Emotional, Creative.**

https://doi.org/10.51345/.v36i1.1025.g509

ABSTRACT:

The literary or poetic experience makes a difference in the literary work, giving it realism and credibility, in addition to the psychological depth and the accompanying emotion that charges the literary text with wonderful creative energy, and its data differ from one creator to another and from time to time for the creator himself. Its types differ according to the way the creator draws inspiration from it, it may be lived, read or heard, and it does not differ for the creative poet, but it differs for those who do not have the real literary experience and great creative ability.

التجربة الأدبية عامل ابداعي في النص

أ.م.د. احمد غالب نايف السعدون
قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة المعارف، الرمادي، العراق
dr.ah1975@uoa.edu.iq

الكلمات المفتاحية | الأدبية، تجربة، شعورية، ابداعي.
https://doi.org/10.51345/.v36i1.1025.g509

ملخص البحث:

تشكل التجربة الأدبية او الشعرية فارقا في العمل الادبي فتعطيه الواقعية وتعطيه المصداقية فضلا عن العمق النفسي وما يرافقه من عاطفة تشحن النص الادبي بطاقة ابداعية رائعة، وتختلف معطياتها من مبدع لآخر ومن وقت لآخر لدى المبدع نفسه.
وتختلف أنواعها حسب طريقة استلهام المبدع لها فقد تكون معيشة وقد تكون مقروءة او مسموعة، ولا تختلف عند الشاعر المبدع لكنها تختلف عند من لا يمتلك التجربة الأدبية الحقيقة والقدرة الإبداعية الكبيرة. مع ذلك تظهر أن التجارب التي عاشها المبدع وصورها المبدع داخل أوراقه أكثر واقعية من التي يشاهدها، لان الامر يتعلق بالترجمة الفكرية والعاطفية.

المقدمة:

عوامل الابداع في النص كثيرة منها التوظيف الجيد للغة واستخدام التصوير الفني بإتقان عال وتوظيف الياته بشكل مميز فضلا عن اتقان الشاعر لعلوم العروض ودلالاته الوزنية ودلالات قوافيه، ويمكننا في هذا البحث إضافة عامل جمالي اخر وهو التجربة الأدبية او الشعورية لتتكامل هذه العوامل مجتمعة ليكون النص بمفهومه الإبداعي الحقيقي الخالي من أي نقص.

اعتمد الباحث المنهج الفني والوصفي لقراءة بعض النصوص الأدبية ليؤكد على ما تبناه من رؤى في جعل التجربة الأدبية العمود الفقري الذي تقوم عليه القصيدة.

متن البحث:

التجربة الأدبية او الشعورية: هي الحالة النفسية والعقلية التي يكون عليها المتحدث أو الشاعر أو الكاتب ساعة إفراز العمل الأدبي وهي تمر بجميع الناس ولا يمكن أن نتصور إنسانا لم يمر بها؛ ولكن الفرق يكون في آثارها والتعامل معها، وماذا تلامس أو تصيب عندما تمر بإنسان ما فينتج عنها عملا ابداعيا مؤثرا له قيمته الفنية[1].

إن خبرة الحياة هذه التي اتحدث عنها والتي تساعد على اتقان الكتابة الادبية، لا تعني ابدا–مع شديد الأسف– إن هذا الانسان المجرب الموهوب، حسن السلوك والاخلاق وأنه يتصرف بشكل عقلاني على الدوام، فهذه

الخبرة الحياتية غالبا ما تَكرس لضخ المادة الخام التي يحتاجها المبدع لتنفيذ اعماله، وإنها الينبوع الأزلي الذي لا يجب أن ينضب، وان "هذه المادة الخام الثمينة قد تكون تجارب عاطفية داخلية، تمور بها نفس الاديب دون ان يستوعبها عقليا بشكل كامل. "رامبو" مثلا، كان مشحونا بخبرة عاطفية استثنائية لا يمكن التعبير عنها الا بالشعر او بالموسيقى ربما، لذلك أدهش العالم الادبي، وهو لم يتعد السابعة عشرة، بانبثاقه شعرية هائلة مثل فورة بركان عظيم، لا يمكن توقعها او تفسيرها بأي قواعد منطقية معروفة. اي نوع من التجارب العاطفية البالغة العمق، كانت تعصف في دخائل هذا الشاب الصغير، وامتزجت بموهبة شعرية كبرى فأنتجت تلك القصائد الجديدة التي لا مثيل لها."[2]

ان من الصعوبة، بمكان الوصول لمعرفة مؤكدة للطبيعة الإنسانية مثل هذه الكيمياء المعقدة او الغامضة التي ليس من الممكن ارجاعها بكل سهولة، الى عامل الحياة اليومية وعامل الخبرة فيها او التجربة وسعتها او معاناتها، فهي على ما يبدو، سجية بشرية يتميز بها الانسان بل هي عودة الى الوراء واستجماع القيم الروحية لتلك التجارب وهي من اختصاص الانسان وحده فقط اذ لا يمكن ان يشاركه بها أي مخلوق اخر وهو بذلك يتماهى ويتجاوز الطبيعية البشرية المغلقة ليتصل بقوى مجهولة مبدعة خلاقة لا حدود لعوالمها. فهي بذلك يعجز الكشف عليها من خلال الكلام كونها صور متعددة ممزوجة بالإيحاء وقوة التعبير.

ولم تصدر التجارب الشعرية العالمية الخالدة الا عن تجارب عاشها أصحابها وغاصوا في أعماق أنفسهم يتأملون ويستجلون المشاعر والحقائق فجاءت صورا نفسية عميقة[3].

تتميز التجربة الأدبية بالصدق: والمقصود به هو صدق الانفعال والشعور والاحساس بالتجربة وان يكون الدافع لها الذات وان يستعمل المبدع فيها أجمل الكلمات وأكثرها تعبيرا بعيدا كل العبد عن التزييف ولا السير على خطى السابقين ولا حتى التقليد لغيره.

وإذا ما لم يتوفر الصدق وانعدم في الشعر فانه يفقد القيمة الأدبية والجمالية له، كما الحال عندما نتلمسه في شعر المناسبات فان الدافع من وراءه ليس صدق المشاعر وانما المجاملة بعيدا عن الإحساس الصادق فيما، فيهتم الشاعر في هذا النوع من الشعر الأبداع في استخدام العبارة وإظهار البراعة فيها، فهم ينظمونه لدوافع ليست نابعة من القلب فتراه فاترا هامدا جامدا لا حياة فيها الا العبارة فلا يحس بأبداع ولا روح فيه.

تحتاج التجربة الأدبية الى الفكر فالشاعر حين يصورها فانه يعبر ذاته مقرونة بموقفه الشخصي تجاه الحدث الذي داعه لقول الشعر والمشهد الذي انفعل به وهو بهذا يقدم لنا آراءه وأفكاره حتى لو لم يقصد إلى ذلك عمدا.

والافكار لا تساق في الشعر سوقا تقريريا بل تأتي عبر وجدان الشاعر كما هو الحال في قصائد الشعر السياسي و الاجتماعي التي نجدها خصوصا في الكتب المدرسية، فقد عبرت عن موقف الشعراء من قضايا المجتمع

بأسلوب فني لا يقوم على السرد و التقرير فإذا ساق الشاعر لأفكار في شعره سوقا مجردا صارت ذهنية جافة و تحول الشعر إلى نظم لا روح فيه، ومن هذا اللون بعض الحكم و الامثال التي ترد لبعض الشعراء غير ممتزجة بشيء من تجاربهم النفسية، و لكن الحكمة إذا امتزجت تماما بتجربة الشاعر الذاتية ظلت في نطاق الشعر فهي عبارة خلاصة الانسان في تجارب حياته فتجد فيها الأفكار انسجمت وجاءت بعبارات لطيفة جميلة تحمل كم هائل من المشاعر التي ولابد ان تترك اقرا في المتلقي مهما كانت ثقافته.

فالعنصر الرئيس للتجربة الأدبية او الشعرية هو الصدق ولا يعني ان هذا ان الشاعر بالضرورة قد عاش التجربة او مر بها وعانها بنفسه حتى يستطيع وصفها بدقة وانفعالية عالية فربما قد يكون شاهدها او لاحظها وتأثر بها وامن بمطلقاتها فسرت في نفسه ودبت فيها دبيبا مؤثرا ، وهنا يحتاج المبدع او الشاعر لدقة الملاحظة وخيال واسع وذاكرة قوية تعينه على هضم هذه التجربة والانفعال لها على الرغم من عدم خوضه لها بنفسه وهذه الحالة نسبية بين الشعراء فهم مختلفون في ذلك فمنهم من يبرع فيها ومنهم من لا ينجح بها ناجحا كبيرا ومنهم لا من يجيد حتى الوصف لما يعانيه بنفسه فتكون تجربته ضحلة سقيمة لا تنتج الا عملا تقريريا مباشرا.

تشكل القيم الشعورية في أي عمل ادبي البعد الثاني من ابعاده ويمكن وصفها بخصوصية في الشعور، وعمق هذا التعبير والخصوصية وشموليتها بالتواصل مع المحيط فضلا عن صدقها.

من سمات التجربة الشعورية:

1. الخصوصية والفردية في التجربة والشعور وهذه تتأتى من اختلاف البيئات والاحداث التي مر بها المبدعون على اختلافهم في ظرف معين وربما تختلف من وقت لآخر لنفس المبدع حسب الظروف النفسية التي مر بها لذلك يعد علماء النفس ان كل انسان فريد من نوعه لا يشابهه أحد من الخلق فبذلك لا يوجد تشابه بين اثنين مطلقا على وجه البسيطة، فالمشاعر متغيرة والشعور مختلف. وبناء على ذلك فان الاديب لا ينطق كلاما كيفما جاء او كيفما اتفق وانما يكون إحساس ذاتي ويتميز بطابع شخصي فريد يدفع بالعمل الادبي الى المتلقي والقارئ دفعا كبيرا مؤثرا نلتمسه في اعماله وتكون هذه صفة المبدع الشعورية وطريقته المثلى كما هو الحال مع شاعرنا الكبير نزار قباني في اغلب قصائده وإذا تناولنا قصيدة بلقيس والتي يقول فيها:

"شكراً لكم..
شكراً لكم..
فحبيبتي قتلت.. وصار بوسعكم
أن تشربوا كأساً على قبر الشهيدة

وقصيدتي اغتيلت..

وهل من أمة في الأرض..
إلا نحن تغتال القصيدة؟

بلقيس...

كانت أجمل الملكات في تاريخ بابل

بلقيس..

كانت أطول النخلات في أرض العراق

كانت إذا تمشي..

ترافقها طواويس..

وتتبعها أيائل..

بلقيس.. يا وجعي..

ويا وجع القصيدة حين تلمسها الأنامل"[4]

جاءت هذه القصيدة لتعبر عن صدق العاطفة التي عاشها نزار قباني عندما قد فقد حبيبته بلقيس الراوي في انفجار السفارة العراقية في بيروت فتجد ان صدق المشاعر انعكس على صدق التجربة الأدبية الخاصة أي الابعاد النفسية في ذات الشاعر، فكانت قصيدة من أجمل ما كتبه نزار وأصبحت خالدة. فـ "كانت لغته تخدم الأنسان وتؤجج مشاعره والحياة و قضايا عصره، و كانت قصيدة بلقيس الفضاء الذي أعلن فيه نزار عن ذاته، وعن نقده لواقع المضطرب معتمدا على اللغة الايحائية و المعبرة عن انفعالاته وخوالجه النفسية و ما يحمل الوجدان من قوة و حزن و حير"[5].

لعل يعتقد البعض ان نزار كان يرى في المرأة عنوان قصيدة كلاسيكية او كما اعتاد عليه الشعراء فبالعكس كانت " تمثل قصيدة العمر وأنشودة الوجود ورحيق الحياة، فكانت الحبيبة والمعشوقة والملهمة ومن يومياتها كان يستلهم كلماته وأشعاره وثورته، فقصد لها القصائد الساحرة النابضة لأحاسيس الرقيقة، ورسم لها مدينة حب وجعلها ملكة عليها فعاش عاشقا محبا، فجعلها محور شعره وهمه الذي تذوب فيه شتى الهموم الأخرى، ونقطة مركزية تسبح حولها سائر الموجودات حيث اختصر فيها المسافات والعصور والكلمات فالشاعر لا يدرك الحياة إلا من خلالها"[6]

في حين نجده في قصائد أخرى تجربة المرأة فيها مختلفة فهي تمثل عنده الجسد ففي ديوانه" قالت لي السمراء" الذي كان أغلبه قصائد تدور حول الغزل الحسي المؤسس على الشوق العارم للجسد، لكنه بعد النكسة العربية اتجه نزار إلى الشعر السياسي الممزوج بالغزل فزاوج بين الأنثى والوطن،

هذا مرده الظروف السياسية العربية وما تركته النكسة من شعور أثر في نفوس الشعوب. كما في قصيدته:

" ألاحظت ؟
كم تشبهين دمشق الجميلة
وكم تشبهين المآذن...
والجامع الأموي...
ورقص السماح...
وخاتم أمّي..."(7)

2. تتميز التَجربة الأدبية بالعمق والشمولية فهي تتصل بالحياة من خلال الاديب وهو يعد بذلك رائدا من روادها فهو يسبر اغوارها ويتدخل في جميع مفاصلها ويطلع على خفاياها وهو بهذا الدور الذي منحته إياه التجربة الشعورية نستطيع وصفه الحلقة الواصلة بين الحياة ونبعها وبذلك يمكن ان تعطيه القيمة الكبيرة كلما استطاع بإيصال والاتصال بالكون وبذلك تكون تجربته عالمية تتجاوز الحدود. هذا الاتصال الشمولية تحتاج عاملا مميزا الا وهو صحة الشعور وصدقه فمن خلال هذا الصدق يستطيع الربط بين المحلية والعالمية وبين الفردية والجماعة وصفة الصدق هنا لا اقصد بها الواقعية او الصدق الواقعي وانما صدق الإحساس والشعور وصدق التأثير والتأثر بالآخرين ويكون مقياس هذا النجاح هو القدرة على التعبير واستخدام اللغة الجميلة المؤثرة التي تجعلك وكأنك في عمق هذه التجربة، فأن التجربة الادبية هي الخبرة النفسية للشاعر حين يقع تحت سيطرة مؤثر ما، يستهويه فيندمج فيه بوجدانه وفكره مستغرقا في أعماق النفس متأملا حتى يتفجر ينبوع الابداع لديه فيصوغه في الاطار الشعري الملائم لهذه التجربة.
3. موضوعات التجربة ليست محددة، فهي تتسع وتتنوع لتشمل كل ما في الحياة صغر أو كبر مما يؤثر في نفس الشاعر من النواحي الكونية أو النفسية أو الاجتماعية.
4. التجربة الشعرية قد تكون عظيمة كما قد تكون تافهة في ظاهرها، ولكن الشاعر الكبير قادر بتأثره وتفاعله على إبداع الجليل من التافه؛ لأنه يراه بمرآة نفسه الكبيرة التي كيفتها عوامل شتى ممتازة، ويتمثل الانسانية عامة لا شخصية فرد في شعره.
5. التجربة الشعرية والشعورية هي الدعامة الاولى للشعر، فإذا افتقدت لم تكن للموسيقى النظمية ولا لمتانة الديباجة ولا للتخيل المصطنع أية فائدة للفن، بل كانت جميعها مفردات أو تراكيب للافتعال وللتحايل على الشعر.

6. الصدق في التجربة لا يستلزم أن يعانيها الشاعر بنفسه بل يكفي أن يحاكيها بطريقة فلسفية ويقوي شعوره بها، بمعنى ان التجربة الأدبية لا تطلب من المبدع عيشها بنفسه فربما تكون مقروءة او مسموعة فمثال المقروءة قصيدة علي محمود طه المهندس يقول في قصيدته م قارة الى قارة:

"أشباح جن فوق صدر الماء تهْفُو بأجنحة من الظلماء
أم تلكَ عُقْبانُ السماء وثَبْنَ من قُنن الجبال على الخضم النائي
ومن الفَتى الجبَّار تحت شراعها متربّصاً بالموج والأنواء" (8)

فالشاعر هنا لم يعش التجربة بنفسه ولم يرافق طارق بن زياد عندما عبر مضيق جبل طارق لكنها قرأ القصة من خلال كتب التاريخ فاستلهمها فكانت من أجمل القصائد وقد نجح في التأثير في المتلقي اين كان ذوقه.

هذا ما يفسر لنا قصائد كثيرة كتبت في مدح الرسول وشخصيات إسلامية او عالمية عبر العصور فكانت قصائدهم ذات تأثير كبيرة قد نجحت في نقل المتلقي لأجواء الحادثة التي صورها فخلدت هذه الشخصيات من خلال الشعر لان الشاعر قد نجح في نقلها بطريقة وأسلوب رائع وصورة مؤثرة

أولى مقومات الشعر الصادق التجربة الشعرية؛ أي تأثر الشاعر بعامل معين أو بأكثر واستجابته إليه أو إليها استجابة انفعالية لأن قيمة الشعر في معناه الذي يحاول المبدع إيصاله إلى متلقيه، وهذا ناتج لسبب هو أن "هناك استراتيجية للغة الشعرية في مناحي عدة يكون فيها نشوء النص الشعري وفق أسباب عدة تتطلبها حيثيات الواقع في منحييه الانثروبولوجي والميثولوجي" (9)

الكلمة هي مادة التعبير عن التجربة الشعرية وهي الاداة السحرية في يد الشاعر بما يحملها من خلال الصياغة من دلالات وإيحاءات وليس هناك ألفاظ خاصة بالشعر فكل كلمة يمكن استخدامها بحيث تغني في موقعها ما لا تغني كلمة أخرى. فهي في المحصلة برمجة أفكار المبدع في نصه لذا ينفتح النص "على عدة دلالات فنية وتساؤلات فكرية واجتماعية ونفسية ترتبط جميعها بسؤال مركزي واحد يبحث في عمق دلالة الهوية الوطنية والإنسانية التي خسرناها بفعل الفشل الاجتماعي"(10) أي أن النص هو ازدواجية الفكر والعلاقة بين الواقع والتجربة الإبداعية والمبدع، فسواء شئنا ام ابينا أن التجربة الشعرية والابداعية بشكل عام هي ناتج لسببين هما داخلي نفسي وخارجي فـ "لكل عمل فني بعد اجتماعي (منطلق من الواقع المعيش) وبعد فردي منطلق من خيال الفنان"(11)

وغير ذلك ما يتعلق بالتجربة الشعرية هو بنية القصيدة الحديثة أو المعاصرة التي تجلت في قضايا تحاكي الواقع بصورة مختلفة تبتعد أحيانا عن البعد التقليدي للقصيدة الكلاسيكية، وهو ما شكل أهمية ومفارقة كبيرة في علاقة النص بالمبدع والقارئ.

النتائج والخاتمة:

1. صدق التجربة والشعور بها واستلهامها بشكل جميل تكون عاملا مهما في ابداع النص.
2. تمكين الشاعر الإفادة من عمق التجربة لدعم نصه دعما فنيا رائعا.
3. خلق فرصة للإبداع من تجربة قد تكون تافهة وتحويلها لتجربة عميقة.
4. موضوعات التجربة ليست محددة.
5. تتميز التجربة الأدبية بالعمق والشمولية فهي تتصل بالحياة.
6. الصدق في التجربة لا يستلزم أن يعانيها الشاعر بنفسه فربما تكون مقروءة او مسموعة.

المصادر:

1. ينظر: مطاردة النص بين صور الاستحضار وأسلوبية التقمص، احمد حاجي الأثر، مجلة الآداب واللغات – جامعة ورقلة – الجزائر – العدد الثالث ماي، 2004 م
2. مستويات التجربة الأدبية والخبرة في الحياة، مقالة، مجلة الشرق الأوسط، فؤاد التكرلي، الاثنين 3 رمضان 1422 هـ 19 نوفمبر 2001 العدد 8392
3. ينظر قراءة حول التجربة الشعرية في النقد العربي الحديث، Ahmet İSMAİLOĞLU مجلة DOĞU ARAŞTIRMALARI
4. قصيدة بلقيس، الكتاب الثامن عشر 1982، ص9-10.
5. مظاهر التشكيل الفني في قصيدة بلقيس للشاعر نزار قباني، زهيرة بنيني، مجلة الآداب والعلوم الانسانية العدد السابع ديسمبر 2011 جامعة الحاج لخضر باتنة.
6. المرأة في شعر نزار قباني "قصيدة بلقيس نموذجا"، مجاهدي. فائزة و ا.د بن اعمر محمد، مجلة البدر العدد 10، سنة 9، 2018
7. شعرية المرأة وأنوثة القصيدة في شعر نزار. أحمد حيدوش، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2016، ص135.
8. ديوان علي محمود طه المهندس ص156
9. محمد يونس، البنية الشعرية المنهج والقيمة، اتحاد الناشرين العراقيين، 2013، بغداد، ذ27
10. جمال شحيد، في البنيوية التكوينية (دراسة في منهج لوسيان كولدمان) التكوين، المغرب: 52
11. حيدر جمعة العابدي، التمثلات الدلالية في القصة العراقية دار الفؤاد، ط 1، 2017: 93